الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي
يصدر كل ثلاثاء
عن جريدة الثورة
العدد 1189
2024/5/14

ملف العدد

فلسطين
القضية والبوصلة

أول الكلام

قضية الضمير العالمي..

▪ ديب علي حسن

غداً ذكرى أكبر كارثة إنسانية عرفها التاريخ حتى الآن وهي كما كرة الثلج أو دائرة النار في الهشيم تزداد.

وثمة من يصب المزيد من الوقود عليها.

فلسطين روح العرب الممزق وضمير العالم النازف ووجع كل أحرار الكون ..عام ١٩٤٨ م كان أن قام بالنار والحديد الكيان الصهيوني الذي مهدت له بريطانيا الاستعمارية وجاءت بكل شذاذ الآفاق من العالم إلى أرض ليس لهم بها أي جذور.

وكان ما كان فصول المأساة مستمرة بل وتزداد مجازر وقتل وتهجير وأرض محروقة وصمت غربي مطبق..

الشعوب الحرة قالت كلمتها وخرجت تهتف لحرية وكرامة فلسطين..

ولكن التواطؤ الرسمي الغربي مازال مستمرًا ويبدو أنه سيبقى طويلاً ولكن لابد لهذا الظلم أن ينكسر وينتهي .

إرادة الشعوب لا تموت قد يطول نضالها لكنها في نهاية المطاف تحقق إرادتها.

فلسطين من النهر إلى البحر حرة واثقة من نصرها من غدها لهذا كانت وستبقى قوافل الشهداء.

وعلى الضمير العالمي أن يكون في صحوة تامة لأن التاريخ لا يرحم المتخاذلين.

عبرة فلسطين

حق العودة متأصل

من النكبة إلى الطوفان

نقش سوري

الثقافة في أسبوع

رئيس التحرير
أحمد حمادة

مدير التحرير
معد عيسى

إشراف
ديب علي حسن

الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

معرض فني

برزت المدرستان الواقعية والتجريدية في الأعمال المشاركة في المعرض الفني الذي أقامه فرع اتحاد الكتاب العرب في محافظة الحسكة وجمعية صفصاف الخابور الثقافية، بمشاركة ستة فنانين.

المعرض الذي ضم ٢٠ لوحة فنية تعددت فيها تقنيات الرسم، وإن كانت الواقعية العنوان الأبرز في معالجة مواضيع اللوحات الفنية المعروضة، إضافة إلى فن التشكيل التجريدي وما يحمله من مضامين منوعة منها تجسيد المشاهدات اليومية والمرأة وحياة المدينة والريف، ولوحات أخرى تجسد بطولة أهلنا في غزة وصمود الشعب الفلسطيني.

رئيس مجلس إدارة جمعية الصفصاف أحمد الحسين أوضح في تصريح أن إقامة المعرض تأتي في إطار أهداف الجمعية لدعم الحراك الفني للتقدم باستمرار، فقد حفل بالتجارب الفنية الفردية التي جمعت ما بين الواقعية والتجريد الانطباعي، فنحن أمام أعمال جديدة اتسمت بالتفرد والجمال وعالجت مواضيع مختلفة كالأبنية القديمة والمرأة وصور الحياة اليومية، كما جسد الفنانون الشأن الوطني والقومي من خلال تسليط الضوء على روح المقاومة الوطنية والفلسطينية.

الفنان التشكيلي عيسى النهار أشار إلى أن المعرض فرصة للقاء الفنانين وعرضٍ أحدث ما أبدعته أناملهم على الجمهور، لافتاً إلى أنه حفل بالتجارب الفنية المنوعة التي حاول من خلالها الفنانون إيصال رسائلهم في مختلف المواضيع انطلاقاً من دور الفن وتسخيره في خدمة المجتمع.

أما الفنان سلمان المنيني فبين أنه شارك في المعرض بلوحتين تعبران عن جمالية مدينة القدس ومكانتها الماثلة في قلوب ووجدان كل إنسان حر مهما حاول العدو تغيير ملامح وجهها العربي، إضافة لمواضيع تلامس الهم الوطني والإنساني.

ندوة

أقام فرع اتحاد الكتاب العرب في السويداء حفل توقيع للمجموعة الشعرية «هزات ارتدادية» للشاعر سامر كحل الصادرة عن الهيئة العامة السورية للكتاب، ضمن نحو ٢٠٠ صفحة من القطع المتوسط.

وتضمنت المجموعة موضوعات متعددة لامست الهم الإنساني والوطني والجوانب الوجدانية والغزلية، إضافة إلى بعض القصائد الطويلة.

وبيّن الشاعر كحل أن المجموعة تجربة جديدة بقصيدة الومضة حاولت من خلالها إعطاء أهمية لالتقاط الصورة ووضع سقفٍ لها لتكون وحدة عضوية متكاملة وتحقق عنصري الدهشة والمفاجأة، مبيناً أنه اعتمد النص النثري تأكيداً على أن الشعرية ليست بالوزن إنما بفنية البنية وإيقاع الحركة والصورة والمجاز.

وخلال قراءة نقدية للمجموعة بين الشاعر جودي العربيد أنها خرجت عن المألوف وما يكتب في الشعر، ووجد كثيراً مما فيها قريباً من السريالية والتحرر من الوزن والقافية لكن مع الاختلاف عن النصوص المشابهة المتحررة من ذلك بحضورالصورة والتوتروالدهشة وبنائها على خاصتي الأصالة والمعاصرة، كما تجاوزت بأسلوب بنائها للفنية الشعرية السابقة، وغلب عليها الأسلوب الانطباعي في التعامل.

والنصوص الشعرية في المجموعة وفقاً للعربيد تقوم على اللحظة البارقة والومضة المشعة التي هدفها التأثير والشفافية، لافتاً إلى أن اللغة فيها كانت رشيقة وعفوية واتسمت بالوجدان، كما غلبت على الكتاب لغة الحب والغزل ولم ينس الشاعر الوطن رغم غربته، إضافة إلى تعدد الأصوات في النصوص ما أعطاها الحيوية وأبعدها عن الرتابة، مسجلاً بعض الملاحظات منها أن النصوص ليست بمستوى واحد شعراً وبناءً ودهشة وثمة تكرار بالصور والتراكيب.

وجرى على هامش توقع الكتاب تكريم المساهمين من أبناء مدينة صلخد في إنجاح معرض الكتاب الذي نظمه فرع اتحاد الكتاب العرب، بالتعاون مع نقابة المعلمين ومديرية التربية خلال الشهر الماضي لنشر ثقافة القراءة.

يذكر أن الشاعر سامر كحل من مواليد محافظة السويداء وهو عضو اتحاد الكتاب العرب له عدة مجموعات منشورة أولها: مجموعة « أطلال الجسد « نشرت عن وزارة الثقافة عام ١٩٩٨، وأخرى بعنوان «صداح» وهي عبارة عن أناشيد للأطفال عام ١٩٩٩، ومجموعة «ما يقلق الريح» عام ٢٠٠٥ و«سائدة الوقت» الصادرة عام ٢٠١٥ و «حين أولد في المرة القادمة « عام ٢٠٢١.

كتاب العدد
حسب الترتيب الهجائي

حبيب إبراهيم
حسين صقر
رفاه الدروبي
سمر الديك
سهيلة اسماعيل
عبد الحميد غانم
عبد الكريم العفيدلي
عبد الكريم الناعم
عمار النعمه
نداء الدروبي
نرجس عمران

التغريبة الفلسطينية .. ملحمة تاريخية في عالم الدراما

عمار النعمة

لاشك أن تاريخ الدراما السورية ثري وغني بالأعمال المهمة التي يمكن أن يقال عنها الخالدة، فمنذ سنوات بعيدة استطاع صنّاع الدراما من تقديم أعمال كتبها وأنتجها وأخرجها وجسد شخصياتها فنانون مبدعون سوريون رسخت في ذاكرة المشاهد السوري بشكل خاص والعربي بشكل عام، لا بل كانت وثيقة للتعريف بقضايا مهمة على رأسها القضية الفلسطينية..على سبيل المثال لا الحصر كان مسلسل الاجتياح، إخراج شوقي الماجري وسيناريو رياض سيف الذي حصل على جائزة إيمي العالمية في تاريخ الدراما العربية، وتدور أحداثه في مدينة جنين الفلسطينية خلال اجتياح القوات الإسرائيلية للضفة الغربية.

مسلسل عائد إلى حيفا ... الذي تناول قصة عائلة فلسطينية اضطرت إلى ترك ابنها الرضيع وحده في المنزل عند وقوع حرب عام ١٩٤٨. وهو مسلسل مأخوذ عن قصة الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني «والأهم من هذا كله أنه يحاكي قضية فلسطين في بعدها الإنساني العميق.

أيضاً مسلسل أنا القدس إخراج المخرج باسل الخطيب يرصد فترة زمنية حاسمة في تاريخ القدس بدأت منذ عام ١٩١٧ وصولاً إلى عام ١٩٦٧.. إلى جانب التركيز على مصير مجموعة من الفلسطينيين الذي تأثروا بهذه التحولات السياسية والاقتصادية التي أفقدتهم أراضيهم وأهاليهم.

وهنا السؤال الأهم لماذا كان ومازال مسلسل التغريبة الفلسطينية هو الأكثر رواجاً ورسوخاً في ذاكرتنا ووجداننا ؟

نعم، يكاد يكون مسلسل التغريبة الفلسطينية الذي عُرض للمرة الأولى عام ٢٠٠٤، من تأليف الكاتب وليد سيف، وإخراج الراحل حاتم علي، أهم الأعمال الدرامية حتى يومنا هذا، وهذا بشهادة الجمهور والعديد من النقاد حيث اجتمعت الآراء على أنه الأفضل عربياً، فهو سلّط الضوء على القضية الفلسطينية بكافة تفاصيلها فبات أيقونة حقيقية في تاريخ الدراما ومرجعاً للعديد من المشاهدين .

التغريبة الفلسطينية عمل تاريخي حصل على العديد من الجوائز، بما في ذلك أفضل كاتب سيناريو للكاتب وليد سيف، وجوائز عن أفضل ممثل وممثلة ... فهو كما وصفه الكثيرون ملحمة حقيقية في عالم الدراما .

يروي المسلسل قصة أُسرة فلسطينية تكافح من أجل البقاء في ظل الانتداب البريطاني ثم خلال ما يعرف بالـ«النكبة» عام ١٩٤٨، مروراً بما يعرف بالـ«نكسة» عام ١٩٦٧م. ولم يلخّص «التغريبة» تاريخ تلك المرحلة فحسب، بل استعرض كذلك الحياة الاجتماعية الفلسطينية بطبقاتها المختلفة، فضم الفلاح والعامل والشاعر والمثقف والثائر.

ولأن المسلسل يشمل مراحل زمنية طويلة وأحداثاً كثيرةً، فقد لجأ الكاتب إلى استخدام راوٍ للأحداث للاختصار، والراوي هنا هو «علي» يمثل دوره الفنان تيم حسن، وهو يروي بصوت الرجل الذي لم يكبَر أو يظهر بعد، وهذه الروايةُ هي الحالة الوحيدة التي نسمع فيها اللغة العربية الفصحى في هذا العمل، وقد اختِيرَت شخصية «علي» لذلك؛ إشارةً إلى ما سيحوزه «علي» في المستقبل من ثقافة، فقد حصل على الدكتوراه.

تبدأ أحداث نهاية المسلسل التي تركت مفتوحة مع عودة روح المقاومة من جديد، حيث كانت النهاية مع الحفيد الذي كبر «رشدي» حيث لعب دوره المخرج حاتم علي الذي أخرج بندقية والده من مخبئها والتي استخدمها سابقاً والده وعمه «حسن» في مقاومة الاحتلال، ليكون المشهد واضحاً بالتعبير عن مواصلة المقاومة.

ربما كمتابعين للدراما يمكن القول أن شراكة الكاتب والمخرج كان لها دور كبير في نجاح العمل، لاسيما أنهما أثبتا في العديد من الأعمال المشتركة نجاحات باهرة، والأهم أن عين المخرج الراحل حاتم علي كانت صائبة على الكثير من التفاصيل ابتداء من انتقاء نجوم العمل الذي أدوا أداء لايستهان به فجسدوا الشخصيات بتكنيك وحرفية عالية، انتقالاً إلى أماكن التصوير وطريقة العرض التي تحمل خصوصية المخرج علي ..

أداء الراحل خالد تاجا أحد أبطال العمل أبهر المشاهدين بشخصيته القوية والطيبة والحنونة والحزينة والتي أبكت الكثيرين .. كيف لا وهو الذي أطلقوا عليه لقب (انطوني كوين العرب) .

ولاننسى أن شارة العمل والموسيقا التصويرية جذبت انتباه المشاهدين بطريقة لافتة، وأضافت بعداً آخر للمشهد فكانت الأبهر من حيث الكلمات التي كتبها إبراهيم طوقان ولحنها ووضع لها الموسيقا التصويرية طاهر ماملي وقام بغنائها عامر الخياط.

التغريبة الفلسطينية عمل سوري .. يستحق الوقوف عنده لأسباب أهمها .. أنه بعد حوالي عشرين عاما من العرض مازال راسخاً في الذاكرة ويتردد على القنوات التلفزيونية وألسن المشاهدين، هو ملحمة درامية لايمكن إغفالها في مسيرة الدراما السورية والعربية، والأهم من ذلك كله أنه حالة توثيقية ومرجع أساسي للحديث عن القضية الفلسطينية، وهنا المعنى الحقيقي لتأثير الفن الممتد الذي لا يموت مع الزمن.

ختاماً.. عندما تحقق الأعمال الدرامية الشروط الفنية المتعارف عليها (النص والإخراج والأداء) وعندما تقدم قضية كبيرة بحجم القضية الفلسطينية فهي تلهم المشاهدين وتحفزهم على التفكير بعمق في هذه القضايا، لا بل تحقق تلك الشخصيات والقصص تأثيراً عاطفياً ووطنيًا كبيراً لدى المشاهدين.

فلسطين القلب، والروح والوجدان، ستبقى لنا البوصلة، وستبقى شقيقة سورية وقضيتها الأساسية التي لم ولن تتخلى عنها يوماً .

حق العودة فكرة متأصلة في العقل والوجدان

حسين صقر

منذ ستة وسبعين عاماً مرت على نكبة فلسطين، ولايزال حق العـودة لـدى الشعب الفلسطيني الشقيق مطلب الشرفاء والحريصين على حقوق هذا الشعب الذي أنهكته عقود من الغربة والشتات، حيث تعد تلك الحقوق ركيزة أساسية لتقريرمصيره.

إن تشتيت الشعب الفلسطيني، جغرافياً وسياسياً، و أساليب تعاطي الدول الاستعمارية من أجل السيطرة الكاملة عليه، وذلك على أساس الإقامة والعرق وصلت ولاتزال إلى حدّ الفصل العنصري، وهو ما أعاق الوصول إلى حق العودة، وإعـادة الحقوق المسلوبة والمنهوبة لأصحابها من الأخوة الفلسطينيين.

ولكون القضية الفلسطينية كانت و لاتزال الشغل الشاغل للأحرار العرب أكد السيد الرئيس بشار الأسد أنه «لا حاجة لتكرار موقفنا الوطني من الكيان المجرم، فموقفنا ثابت منذ نشوء القضية الفلسطينية ولم يهتز للحظة أو ظرف»، ولفت أكثر من مرة إلى أن «المجازر ليست بطارئة على سلوك الكيان الصهيوني، سواء ارتفعت، أو ازدادت، أو انخفضت، لا يهم، والانحياز الغربي الأعمى للصهيونية من قبل الدول الغربية ليس بجديد»

فحق العـودة هو مبدأ من مبادئ القانون الـدولي الذي يكفل حق كلّ فرد في العودة الطوعية إلى بلده الأصلي أو جنسيته، كما أن دستور أي بلد أو قانونه ينص على حق العودة القائم على الوطنية أو الجنسية أو النسب.

ولـهذا ظلت فكرة العـودة بالنسبة للفلسطينيين القوة المحركة للنضال الوطني الفلسطيني المعاصر طوال العقود التي تلت النكبة، وقد تكرست فكرة التعارض الرمزي بين فكرة العودة وواقع اللجوء في الخطاب السياسي الفلسطيني وفي الوجدان الشعبي الفلسطيني على حدّ سواء، وفي كثير من المصطلحات، حتى أن المؤتمر الوطني الفلسطيني الأول الذي عقد في القدس ١٩٦٤ استخدم مصطلح «عائدون» عوضاً عن «لاجئون» في وصفه للفلسطينيين المهجرين والمقتلعين من أرضهم قبيل العام ١٩٤٨ وبعده.

ومـن هـذا المنـطلـق فلحنين إلى الـدار والـعـودة إليها فكرة متأصلة في العقل والقلب و الوجدان، وما انفكّ الفلسطينيون في المنافي يعبرون عنها في أشعارهم وحكاياتهم الشعبية وفي مواويلهم وأغانيهم الفولكلورية والشواهد على ذلك كثيرة.

وفي سنوات الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي شاع استخدام مصطلح « العودة» واشتقاقاته في الحياة اليومية للفلسطينيين، فكانوا يرددون في المناسبات الاجتماعية عبارة «في العودة» تعبيراً عن الامتنان، ويردون على تهاني العيد بالقول «عيدنا يوم عودتنا».

وكثير من الأخوة الفلسطينيين اللاجئين الذين درسوا في مدارس الأونروا آنذاك لا يتذكر «قسَم العودة « الذي كانوا يرددونه كل صباح مع تحية العلَم قبل الدخول إلى غرف الدرس: «فلسطيننا لن ننساك ولن نرضى وطناً سواك»، أو « نشيد عائـدون»الذي كان بمثابة « النشيد الوطني» الفلسطيني وخاصة في قطاع غزة:عائدون..عائدون.. إننا لعائدون.. فالحدود لن تكون.. والقلاع والحصون.. فاصرخوا يا نازحون.. إننا لعائدون.

واليوم، طالما الوضع لم يتغير والحقوق لم تعد للفلسطينيين، فلا شيء تبدل في المواقف، وموقف هؤلاء الأحرار ثابت لم يتغير مقدار شعرة.

وبالتالي فالموقف من المقاومة كمفهوم أو ممارسة لن يتبدل بل يزداد رسوخاً، لأن الأحداث أثبتت أن من لا يمتلك قراره لا أمل له بالمستقبل، ومن لا يمتلك القوة لا قيمة له في هذا العالم.

لقد عانى الفلسطينيون من النزوح والتهجير القسري مع حرمانهم مراراً وتكراراً من حقوقهم في تقرير المصير على مدى عقود خلت، وعلت مطالبهم لتحقيق العدالة، المتجسدة في المطالبة بحق العودة، بتصميم لا يتزعزع، لكن حتى اليوم لم يحصدوا سوى الوعود مع كلّ أسف، بل ذاك التهجير أصبح جزءاً من حياتهم لأجيال، ويعودون دائماً في ذواكرهم إلى الفرار من المذابح وعمليات الطرد الجماعي والنقل القسري أثناء إنشاء الكيان الصهيوني، ولهذا لابدّ من إجـراءات دولية لتسهيل عودة اللاجئين الفلسطينيين وتقديم التعويضات لهم، بعدأن حُرم هؤلاء بشكل منهجي من حقهم في العودة وأجبروا على العيش في المنفى في ظلّ ظروف محفوفة بالمخاطر خارج حدود فلسطين.

بقعة حبر

حبرٌ مقدّس

رنا بدري سلوم

لطالما ثارت حناجر شعراء الحق والحريّة بثورة الحياة، ما هابوا الصمت فاستشهدوا، قدّموا أجسادهم جسراً تعبر عليها الأجيال القادمة وبقي غضبُ حبرهم على جمرِ الوقت، واليوم وبعد أن شهدت غزّة قيامتها، أتى الشّعراء من كل فجٍّ عميق يتلون الشعر آيات نصر تطفىء جمر اللظى في قلوب المظلومين.

خمسة وسبعون عاماً والكتّاب والشّعراء يخيطون نسيج العودة إلى الأرض ما هابوا حُرقة البعد، ظلّوا يكتبون عن اشتياقهم لرائحة الليمون ومفتاح الدّار ولذّة الشهادة فكما كتب كنفاني «إن قضيّة الموت ليست على الإطـلاق قضيّة الميت، إنها قضيّة الباقين المنتظرين بمرارة دورهم لكي يكونوا درساً صغيراً للعيون الحيّة»، من هنا كان أدب المقاومة الفلسطينية آنذاك سلاحاً فعّالاً في وجه الظلم، سلاحاً يعبر الحدود يوصل آلام المستضعفين في وقت لم يكن هناك تواصل اجتماعي ولا انفتاح رقمي، سلاح يوحّد الصفوف ويوحّد التضامن العربي تجاه قضيّة شعب لن يتنازل عن أرضه، بقي الصّوت الفلسطيني عالياً رغم الاعتقالات والاغتيالات والتضييق على كل من رفع صوت الحق في وجه الظلم والقهر، فذاع مصطلح أدب المقاومة لأول مرة على يدي الأديب الفلسطيني الشهيد كنفاني مبرزاً في دراسات له دور شعر المقاومة في مواجهة قمع سياسات الكيان المحتل، ودور الكلمة الصارخة أمام نيران البارود والرصاص وتوحّش الاستيطان وأفعاله القذرة، فكيف لهذا الحبر المقدّس أن يجف وقد بدأ ببسملة الجلال والكمال وانتهى بعظمة الشهداء الصادقين.

قيثارة الإبداع ولحنه الشجي

عبدالكريم العفيدلي

لأن الكلمة والرصاصة تخرج من فوهة واحدة، ولأن هذا التعبير هو الأصدق للأدب الملتزم ولأن القصيدة خير من يشحذ همم المقاومين، انبرى الشعراء العرب منذ النكبة وإلى اليوم مشهرين أقلامهم نصرة للقضية العادلة، ولأن الشعر ديوان العرب وخير مدون للتاريخ والأحداث والمآثر ولأن فلسطين مثلما هي قبلة الإنسانية هي قبلة الفكر التي وحدت بالصلاة إليها كل أرباب القلم، وثق الشعراء مأساة هذا الشعب المظلوم على مدى خمسة وسبعين عاماً فمن الجواهري لأبو ريشة لنزار قباني لبدوي الجبل لدرويش لطوقان للقروي للنّواب... لاتزال القصائد التي تربينا عليها في مناهجنا المدرسية تتقد كالمشاعل في ضمير الأمة.

تربينا على نزار حينما يقول:

نحن عكا ونحن كرمل حيفا
وجبال الجليل واللطرون
كل ليمونة ستنجب طفلاً
ومحال أن ينتهي الليمون

وتربينا على درويش حينما يقارن بين روما التي أحرقها نيرون وفلسطين التي تعاني تحت همجية الاحتلال :

يادامي العينين إن الليل زائل
لاغرفة التوقيف باقية ولازرد السلاسل
نيرون مات ولم تمت روما بعينيها تقاتل
وحبوب سنبلة تجف ..
ستملأ الوادي سنابل

وتربينا على الشاعر القروي الذي يتكلم بضمير كل عربي وحر بالتزامه بقضية فلسطين، وإن هذا الالتزام ماهو إلا عهد رضعناه في المهد:

يا فلسطين التي كدنا لما
كابدته من أسىً ننسى أسانا
نحن يا أختُ على العهد الذي
قد رضعناه من المهد كلانا
يثربٌ والقدسُ منذُ احتلما
كعبتانا وهوى العرب هوانا
شرفٌ للموت أن نطعمه
أنفساً جبارة تأبى الهوانا

ولأن الشاعر ضمير الأمة كان الشعراء العرب في ساحات الجهاد يقاتلون بالكلمة ويذكون الحماسة في الأنفس الطاهرة التي حملت البندقية بوجه هذا العدو، يشيدون بهذا الجهاد الجماعي والفردي ويخلدون المآثر والانتصارات وكأن ابراهيم طوقان بيننا اليوم عندما كتب قصيدته المشهورة:«صامتٌ لو تكلما.. لفظ النار والدما
قل لمن عاب صمته... خلق الحزم أبكما
وأخو الحزم لم تزل.. يدهُ تسبقُ الفما»

تخليداً لفعل الفدائيّ محمد عبد الغني أبو طبيخ، الذي حمل «روحه فوق راحته» بينما كان يبلغ من العمر حوالي ١٥ عاماً، وقام بمحاولة اغتيال رئيس النيابات العامة البريطاني، الصهيوني «نورمان بنتويش»، رداً على قوانين تعسّفية أصدرها بحق الفلسطينيين خلال ثورة البراق.

إن الطوفان التحرري الذي بدأ في السابع من تشرين أعاد البوصلة لمكانها الطبيعي بعد أن حاول البعض التشويش وتحبيط الهمم، وقف الشعر سافر الوجه بعد أن بقي خلف الكواليس لفترة من الزمن وبدأ يرفع الصوت عاليًا يعري تخاذل البعض في نصرة القضية، لقد عاد الشعر بعد الطوفان لدوره التاريخي في إيقاظ الشعور القومي بعد السبات الذي حل به يحرّض على الصمود في وجه المشروع الصهيوني مبشرًا بسقوطه بعد أن تبين وهنه وضعفه، وعلى كل الشعراء اليوم الالتزام بدعم المقاومة وتغليب المصلحة العامة للأمة على المصالح الفردية الضيقة، على الشاعر أن يستعيد المنبر ويأخذ دوره التنويري في طريق الحرية والاستقلال.

لقد استطاعت فلسطين أن توحد الإنسانية برغم اختلاف الإيديولوجيات والمعتقدات فكتب لها شعراء الأمتين العربية والإسلامية ولأن الشعر وثيقة دامغة ضد تزييف الحقائق وسلاح فتاك بيد المقاومين كي لا يغيّب العقل ولأنه الأقرب لعقول الناس وضمائرهم استفاض الشعراء، فجرت أودية شعورهم الصادقة ساعية لتحرير فلسطين بالكلمة التي لاتقل أهمية عن الرصاصة في ميادين الجهاد والنضال، لقد وصلت هذه القصائد إلى كل أنحاء العالم وترددت بالآفاق تعرّف العالم بنكبة هذا الشعب المظلوم وفظاعة مايتعرض له، لقد اتخذوا من الحرف إزميلاً يحفرون به ذاكرة التاريخ كي لا تُمحى فلسطين.

وتر الكلام

أنت الآن حر

سعاد زاهر

أي قصيدة بإمكانها أن تعبر عن حال فلسطين، هل للكلمات معنى ونحن نشهد ماعاشته غزة مؤخراً، لو أن محمود درويش حي، هل كان سينشد بسلاسة قصيدته الشهيرة(أيها المارون فوق الكلمات العابرة، اخرجوا من أرضنا، من برنا، من بحرنا، من قمحنا، من ملحنا، من كل شيء...)

هل كان سيكتفي بتلك النداءات التي تجمع بين الأضداد كي تستثير الهمم هي وغيرها من الكلمات مراهناً على أنها أرضنا، ومهما طال الوقت سيعبرون.

قد يكون عبورهم قاسياً، رهيباً لايحتمل كما عاشته غزة مؤخراً، لكنها بداية الزوال.

وأنت تتصفح تلك البطولات التي قام بها الإعلاميون في غزة سرعان ما تتذكر قصيدة محمود درويش مديح الظل الملمح العالي حيث يسقط القناع عن القناع، ترتفع فيها النبرة الشعرية

كأنها تستقرأ المستقبل حينها، وراهن كل من اقترب وتعاطى مع غزة في الميدان.

(حاصر حصارك...لامفر، سقطت ذراعك فالتقطها واضرب عدوك لامفر، وسقطت قربك، فالتقطني، واضرب عدوك بي...فأنت الآن حر.. ذهب الذين تحبهم، ذهبوا فإما أن تكون أو لاتكون...)

إنها كانت على مر الزمان حرب وجود، فإما أن نكون أولاً ومن أكثر من الإعلام يدرك هذه الحقيقة، ويدفع دما كي يرويها، حين قرأت التقرير الذي أعدته نقابة الصحفيين في فلسطين عن استهداف الاحتلال للصحفيين ومنازلهم ندرك الرعب الذي يعيشون به خوفاً من معرفة الحقيقة، وكي يسكتوا صوت الحق.

لم تستطع الدروع التي كتب عليها إعلام، ولا الإسمنت أن يحمي (١٣٥) إعلامياً استشهدوا في غزة، قسم كبير منهم استشهد في مكاتب عملهم. رغم ذلك تبنى كثر أصواتهم، ويستمر صوت الحق إلى الأزل ونسمع صوت محمود درويش يعلو وهو ينشد(آه يا فلسطين، ويا اسم السماء، ستنتصرين).

بوصلة التحرر القومي

عبد الحميد غانم

راكمت القضية الفلسطينية خلال ٧٥ سنة على النكبة، تراثًا ثقافيًا وسياسياً، يصعب تجاوزه، يؤكد أن قضية فلسطين لا تزال القضية المركزية العادلة والنموذج القومي العربي التحرري في المنطقة والعالم، رغم العديد من القضايا التحررية التي شهدتها المعمورة خلال العقود الماضية.

وأمكن لفلسطين أن تكون في قلب كل نضال سياسي قومي في المنطقة، ما جعلها بالفعل البوصلة التحررية العربية، خلال القرن العشرين الماضية.

وقد سعت القوى الاستعمارية الغربية قبل مئة عام إلى تشتيت إمكانات القوى العربية وإشغال كل قطر عربي بهموم ومشكلات، تبعده عن الاهتمام بالقضية الفلسطينية.

فكانت (سايكس بيكو) ، التي قسمت المنطقة العربية، ووزعت بلدانها إلى حصص استعمارية للدول الغربية، مما خلق البيئة المناسبة لقيام الكيان الصهيوني واحتلال فلسطين العربية وتهجير أهلها، لمنع قيام أي اتحاد عربي، أو أي عمل يساعد على تقدم العرب وتطورهم وخلاصهم التنموي خاصة بعد نيل معظم الدول العربية استقلالها الوطني.

ورغم كل محاولات الاحتلال الصهيوني والاستعمار الغربي لطمس القضية الفلسطينية والغاء الحقوق الشرعية الفلسطينية بعد ٧٥ سنة على الاحتلال، إلا أنها فشلت، وتكسرت مخططاتها على صخرة الصمود الأسطوري للشعب الفلسطيني ولكل المقاومين والأحرار في مواجهة آلة الحرب العدوانية الصهيونية.

وبعد مضي نحو قرن على المخطط الاستعماري الغربي، ها هي القوى الغربية بزعامة الولايات المتحدة وكيان العدو، تعاود من جديد لإعادة رسم مخطط آخر للمنطقة العربية بما يشغلها بهموم ومشكلات جديدة، بما يمكن كيان الاحتلال الصهيوني من الاستمرار، واستكمال مخططه لتصفية القضية الفلسطينية، تحت ما سمي «صفقة القرن».

ومهما حاولت قوى الغرب والصهاينة، جعل القضية الفلسطينية خارج دائرة الوعي العربي، لكن الأحداث والوقائع الجارية تؤكد أنه كلما انتقل الصراع الفلسطيني الصهيوني إلى شوط جديد، إلا وكان لذلك وقع مباشر على بقية الملفات العربية، مهما كانت حدّتها وأهميتها.. تبقى فلسطين بوصلة هذه الأمة، مهما طال الطريق، وتشعبت الدروب.

وعندما أطلت غيمة ما سمي ب «الربيع العربي» في سماء المنطقة، وأن تنتقل إلى الدول العربية، اعتقد كثيرون أن ما قد يترتب عن ذلك من تغيير في موازين القوى سيؤول، في النهاية، إلى التأثير على خط دعم فلسطين، باعتبارها القضية المركزية.. لكن، سرعان ما تبخرت تلك الأحلام، رغم أنه تم الاشتغال، طوال الفترة الأخيرة، على أكثر من بلد وأكثر من قضية، حتى تبقى مختلف المسارات تحت السيطرة الغربية والصهيونية، لكن حصل العكس تمامًا، حيث تساقطت مخططات الغرب الاستعماري المتناغمة مع المخطط الصهيوني.

وعادت الأحداث لتؤكد على مركزية القضية الفلسطينية في الاهتمام القومي والبوصلة العربية.

الملفت في الأمر أن كل ما جرى ويجري خلال ١٣ سنة من محاولات تشتيت القوة العربية، لم تستطع أن تسقط القضية الفلسطينية من الاهتمام القومي العربي، ولا تزال تشكل محور النضال التحرري العربي.

لكن في المقابل، وضعت الكيان في أزمات بنيوية ووجودية.. فالمجتمع الإسرائيلي في اللحظة الحالية مريض بأزمة هيكلية في بنية ثقافته ومنظومة قيمه.

صحيح أنّ تواطؤ العالم الغربي مع كيان إسرائيل واعتبارها كياناً محصّناً فوق القانون الدولي والمحاسبة عزّز من هذه الأزمة الهيكلية.

لذلك نرى أن هروب الكيان إلى الأمام من هذه الأزمات يتم من خلال سلوكه العدواني ضد فلسطين وغزّة عبر هستيريا القتل وممارسة الجرائم وحرب الإبادة الجماعية والتهجير القسري.

ورغم أن القضية الفلسطينية تعرضت لعملية تصفية ممنهجة ومستمرة قاومها شعبها طوال هذه العقود ببسالة منقطعة النظير، إلا أنها ستظل منبعًا للدروس والعبر للأجيال القادمة.. قضية عاشت معها الشعوب العربية نكبات وملاحم مقاومة لا تعد ولا تحصى، ورحل الجيل الأول الذي عايش البدايات وخبر خباياها في حقبة كانت القضايا القومية لها ثقل في وجدان أي إنسان عربي، وأتت بعد ذلك أجيال نشأت مع شعارات السلام واتفاق أسلو ومسارات التطبيع، ثم جاءت أخرى عايشت تحولات عميقة على المستوى السياسي والثقافي أصابت عمق اهتمامات ومعتقدات شعوب المنطقة.. لكن القضية الفلسطينية لم تراوح مكانها في وجدان هذا العربي، فهو يتألم بتألم أخيه الفلسطيني ويسعد بسعادته.

لكن بعد طوفان الأقصى وصمود الشعب الفلسطيني لأكثر من سبعة شهور يعيد اليوم وهج القضية الفلسطينية وتعود لتنير ظلام الواقع العربي وتوجه بوصلته، وما يحدث الآن في غزة من إبادة جماعية تحت أنظار العالم ومباركة الغرب وصمت العالم سيجعل الشعوب العربية والعالم تستفيق وتخلع عنها رداء المهانة الذي لا يليق بها وتعود إلى سابق عهدها لتقول كلمتها وتضغط لوضع حد لهذا القتل الوحشي للأبرياء.

لقد أثبت زلزال «طوفان الأقصى» من جهة وصمود المقاومة الأسطوري لأكثر من سبعة أشهر من جهة ثانية، أنهما تحوّلان تاريخيان من النوع الذي لا تظهر آثاره كلها مرة واحدة بل تستمر في تفجير موجات تغيير هائلة بحجم التسونامي لشهور وسنوات.

وأنّ كل جبروت القوة الأميركية – الإسرائيلية غير كاف لمنع «طوفان الأقصى» بجناحيه من حفر مجراه في تاريخ فلسطين والمنطقة.

نبض الإبداع

رفاه الدروبي

شكّلت قضية فلسطين في الأدب العربي أحد أهمّ الموضوعات المطروحة، وبدأت نهضته منذ النكبة عام ١٩٤٨ شعراً وقصّةً وروايةً، ويندُرُأن نجد أديباً عربيّاً لم يكتب عن فلسطين وعاصمتها، لا سيما في حقل الشّعر لأنّها بوصلةُ روح الإنسان العربيّ الأصيل، بكلّ ما فيها من دلالات دينيّة وتاريخيّة وحضاريّة، فالقُدس كانتْ مُلتقى الأنبياء والرّسالات السماوية وستبقى قبلةَ الإنسانيّة ومركز ضميرها. تُوقِظُه على تراتيل الأحزان والآلام المتَصاعدُة من قلب الفلسطيني.

فلسطين في الرواية

اتجه المتن الروائي العربي، والفلسطيني خاصةً، منذ احتلال فلسطين عام ١٩٤٨، لإنجاز نصّ سرديّ متخيّل ينطلق من نكبة فلسطين والأحداث المصاحبةً لها. من عمليات تطهيرعرقي وتهجير قسري وشتات دفع الفلسطينيين إلى جهات الأرض الأربع وأنتجت روايات كثيرة ترتبط بالقضية الفلسطينية بطريقة أو بأخرى، وهناك أسماء عربية وفلسطينية ظهرت وتميّزت روائياً، مثل: حنا مينه، جبرا إبراهيم جبرا، غسان كنفاني، واسيني الأعرج، إبراهيم نصرالله، إلياس خوري، رضوى عاشور، مريد البرغوثي.

الشعر

كما أثرت القضية الفلسطينية على الشعر الفلسطيني بفيض غزير من القضايا والموضوعات الجديدة. وإنّ ديوان الشعر الفلسطيني المعاصر يُمثّل دائرة واسعة من دوائر الرصد والمتابعة لأبعاد القضية الفلسطينية وملابساتها وأحداثها وتطوراتها وتسلسلها التاريخي والزمني منذ أن وطئت أقدام الإنجليز أرض فلسطين، حتى اليوم، ورصداً متكاملاً لجميع الظروف والملابسات وألوان المعاناة المار بها الإنسان الفلسطيني قبل النكبة وبعدها، داخل الوطن المحتل وخارجه، سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ونضالياً، واستطاع الشعر الفلسطيني المعاصر أن يُكوّن من نفسه مصدراً أساسياً من مصادر دراسة القضية الفلسطينية منذ بداية الربع الثاني من القرن الماضي، إذ بدأت نفحات الرومانسية تهبُّ على الشعر الفلسطيني من خلال بداياته مع إبراهيم طوقان، وعبد الكريم الكرمي، كما أخذت تنمو بشكل سريع خلال العقدين الثالث والرابع من القرن العشرين والعقود التالية، وخاصة بعد النكبة.

التفاؤل بالعودة

تمركزت فلسطين في صميم الشعر العربي المعاصر، حيث مثّلت خلال القرن العشرين أرضاً خصبة في وجدان الأمة العربية فيما عرف بأدب القضية، ولايكاد يخلو ديوان شاعر عربي من قصيدة أو قصائد تتناول فلسطين مأساةً وأملاً في التحرير، بل هناك دواوين كثيرة خُصّصت لها دون غيرها، تبدو البداية لافتة في شعر علي محمود طه، في ثلاثينات القرن الماضي، وتراه يُحذّر ويُنبّه من الظلم الواقع على فلسطين.

قال صالح الأشتر في كتابه «مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر»: «منحت القضية في فلسطين الأدب العربي ديواناً دموياً ضخماً. كتبت الحروب الصليبية صفحاته الأولى، ولايزال إلى اليوم في تضخُّم مستمر، وكلما تضخّم الديوان ازدادت ملحمة الدم العربية في فلسطين غنى واتساعاً، وتعدّدت صور فلسطين في الشعر، فهي الأرض المغتصبة، والزمن المفقود، واللغة الدامية، والرموز والدلالات المتعددة، والشخصية الضائعة الغريبة؛ وعدوها غول يلتهم الأرض والزمن واللغة والشخصية، وناسها مرابطون، يعانون تحت نير «احتلال استيطاني صهيوني» يجتثُّ الجذور، أو في المنافي والمخيمات يعانون الضياع والاغتراب».

وعلى الرغم من أنّ المأساة الفلسطينية تقطر دماً منذ نشأتها حتى اليوم، إلى حدّ يشعر فيه الناس بفقدان الأمل، فإنّ الشعر العربي يصرُّ؛ على التفاؤل والإيمان بالمستقبل المشرق، إذ قال الشاعر نزار قباني في قصيدة بعنوان «بكيت حتى انتهت الدموع»:

يا قدسُ، يا مدينةَ الأحزان
يا دمعةً كبيرةً تجولُ في الأجفان
مَنْ يُوقفُ العدوان؟ عليكِ، يا لؤلؤةَ الأديان
مَنْ يغسلُ الدماءَ عن حجارةِ الجدران؟
مَنْ يُنقذُ الإنجيلَ؟ مَنْ يُنقذُ القرآن؟
مَنْ ينقذُ المسيحَ ممّن قتلوا المسيح؟
مَنْ يُنقذُ الإنسان؟

شعر الشتات

بينما شكّلت فلسطين ديوان شعرائها من أبنائها، فهي ديوان الشاعر المقيم تحت الاحتلال، وديوان الشاعر المشرّد في المخيمات والمنافي، وعلى رأسهم: إبراهيم طوقان، محمود درويش، سميح القاسم، عزالدين المناصرة، توفيق زياد، كمال ناصر، يوسف الخطيب، فدوى طوقان، إبراهيم نصرالله، توفيق صايغ، معين بسيسو، سلمى الخضراء الجيوسي، راشد حسين، أحمد دحبور، مريد البرغوثي.. وغيرهم ممن يُعدّون بالآلاف، لذا يُمكن القول: إنّ الشعر العربي، وخاصة الفلسطيني، استطاع ترسيخ وبناء هوية ثقافية عربية مقاومة للعدو، ومُجسّدة لواقع الاحتلال المرير، بروح ثورية فلسطينية وبلغة ثائرة متمرّدة مقاومة تئزُّ رصاصاً، وتؤمن بحتمية الانتصار على «العابر الغريب»، لئنّ الصلة بين الناس والوطن أوثق في نفوس الشعراء، إذ يعاملونه إنساناً ذا روح وهوية، وكانت كتابات الشاعر الفلسطيني محمود درويش، تكشف عن نفسية الإنسان المدافع عن وطنه فأنشد:

نسيمك عنبر
أرضك سكر
وقلبك أخضر!
وإنّي طفل هواك
علَى حضنك الحلو
أنمو وأكبر

يُدلّل القول الأدبي على روح الوطنية المساهمة في المحافظة على الوطن من كلّ اعتداء، فتغنّى الشعراء الفلسطينيون بحبّ وطنهم وتماهوا مع جذوره، وجهروا بأنّهم جنوده ومستعدُّون لبذل دماءهم رخيصة في سبيل الذود عنه، ونادوا بما ينبغي أن يكون عليه المواطن الغيور من الصفات الوطنية كالتضحية والفداء في سبيل تحريره ونصرة قضيته التاريخية، والمحافظة عليها في ظلّ تداخل الأدوار وتبادلها، وتُعزّز الممارسات الوطنية في الأدب الفلسطيني من خلال المضامين والأفكار والأطروحات الهوية الوطنية وامتداداتها التاريخية. غنّى الشاعر الشهيد عبد الرحيم محمود:

سأحملُ روحي على راحتي
وأُلقي بها في مهاوي الرّدَى
فإمّا حياةٌ تسرُّ الصديق
وإمّا مماتٌ يغيظُ العدا

إنّ الفناء في طريق المجد وترسيخ الهوية بكلّ صدقٍ وأمانة من التمثيلات الدلالية المعبّرة في كتابات أدباء فلسطين المتواجدين على أرض المعركة، مازجين بين الطلقة والقلم، فذوبان الروح واختلاط الجسد بالأرض والوطن يُجسّد حالة العشق الأزلي للوجود العربي في فلسطين كونها تُمثّل رمز الأمة وعنوان الكيان العربي وهويته الحضارية وتراكماتها التاريخية.

أمّا الشاعر الراحل محمود درويش، فشغل الوجدان العربي موقعاً معقداً تجاوز صفة الشاعر، لأنّه صار صوت فلسطين بوصفها فردوس العرب الضائع، بينما كتب عبده وازن عن جيل الثمانينات فقال: «يبدو المشهد الشعري مُركّباً من «بؤر» مكانية متعدّدة، تتوزّع داخل فلسطين المقطّعة الأوصال، وخارجها، أي ما يُسمّى منفى مُتعدّد بدوره مكانياً وجغرافياً؛ لكن خيط الذاكرة يجمع بين أجزاء فلسطين والشتات أو المنفى المترامي بين دول عربية وأخرى أجنبية».

زاوية حادة..

حفلات التوقيع ..

د.ح

شخصيًا أجد المتعة في كل خبر أو نشاط أو ما ينشر حول الكتاب والكتب وأسعد به لأنه على الأقل مهما كان يصب في خدمة الثقافة والحراك الثقافي.

لكن لابد من بعض الملاحظات أولها:إن المبالغة في الأمر تعطي نتائج عكسية تمامًا فما كل كتاب أو إصدار يستحق مثل هذا الاحتفاء.

ثاني الملاحظات أنه أفسد الجو الثقافي بمجاملات نقدية ..رواية من ٤٠٠ صفحة ترسل إلى أحدهم ليقدم مداخلة حولها بعد ساعات أو أيام من صدورها ..وكيل المديح لا حدود له.

ثالث الملاحظات الإحراج الذي يقع فيه بعضنا شخصيًا دعيت إلى الكثير من حفلات التوقيع لكن بكل صراحة : لا أستطيع تحمل نفقات تلبية الدعوة من شراء نسخة أو..

وغيري أظن ـــ من الوسط الإعلامي حالهم حالي..

ومع ذلك هي ظاهرة جميلة أؤيدها بقوة ومن الضرورة الاحتفاء بالكاتب والكتاب ودعمه من استطاع إلى ذلك سبيلاً فلم لا يكون لدى الكتاب نجوم يتم العمل على إظهارهم كما نجوم الدراما ..؟

طبعا هذا الرأي ليس دعاية لعمل أقوم به أبدًا وليس لدي في المدى المنظور مثل ذلك وإن كان سيكون أحفادي هم نجوم حفل التوقيع في بيتنا.

من النّكبة إلى الطّوفان.. ؟

حبيب الإبراهيم

شكّلت قضية فلسطين أحد أهم محاور الإبداع لدى الشعراء والأدباء العرب منذ النكبة في ١٥آيار عام ١٩٤٨وحتى يومنا هذا، وبالكاد تخلو مجموعة شعرية أو قصصية أو رواية دون التطرق للقضية الفلسطينية، قضية العرب المركزية والتي تمتد لـ٧٦عاماً، قدّم خلالها الشعب الفلسطيني على وجه الخصوص، والشعب العربي في سورية ولبنان و... آلاف الشهداء من النكبة إلى طوفان الأقصى.

لقد شكّلت النكبة وجعاً وحزناً وأسى على الصعيد الرسميّ والشعبيّ، لتبدأ موجات التهجير والإبادة وتهويد الأراضي وحياة المخيمات، ومرارة التشرد في كل أصقاع الأرض، وهذا ما دفع الشعراء والأدباء إلى تبنّي مواقف وطنية وقومية مناصرة وداعمة للشعب الفلسطيني، وحقه في العودة إلى أرضه وديارِه، وبناء دولته المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.

وجميعنا قرأ في منهاج الثانوية بحوثاً عدّة كانت مقرّرة في مناهج وزارة التربية في سورية، حول القضية الفلسطينية والأدب الملتزم، أو ما يعرف بأدب المقاومة والكفاح المسلح لنيل الحقوق وتحرير الأراضي المغتصبة.

لقد عاش الأدباء الفلسطينيون المآساة واجترعوا مرارة النكبة من تشرد وجوع وفقر وفقد وحرمان، لذلك كانت أشعارهم وقصائدهم وكتاباتهم أكثر تعبيراً عن معاناة الشعب الفلسطيني، أمام المجازر والقتل الممنهج والتهجير القسري لآلاف الأسر، التي أصبحت في العراء أو في الخيام، حيث نُصبت في أطراف المدن العربية، لكن حلم العودة لم يفارق أي فلسطيني يأمل أن يعود إلى بيته وبيارته مع أسرته وأهل حيّه وقريته.

وهذا ما عبّر عنه الشاعر عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) في قصيدته (سنعود):

(غداً سنعود والأجيال تصغي إلى وقع الخطى عند الإياب
نعود مع العواصف داويات مع البرق المقدس والشهاب
مع الأمل المجنح والأغاني مع النسر المحلق والعقاب
مع الفجر الضحوك على الصحارى نعود مع الصباح على القباب
مع الرايات دامية الحواشي على وهج الأسنة والحراب
ونحن، الثائرين بكل أرض، سنصهر باللظى نير الرقاب)

وبمسحة من الحنين يخاطب الشاعر يوسف الخطيب عندليباً مهاجراً عن بلده وأهله وناسه، يسأله عن ذكريات مضت، يسأله عن داره التي تركها قسراً بفعل الاحتلال، يسأله معاتباً:

(عجباً.. تراك أتيتنا من غير تذكار
لو قشة مما يرف ببيدر البلد
خبأتها بين الجناح وخفقة الكبد
لو رملة من المثلث أو ربا صفد
لو عشبة بيد ومزقة سوسن بيد
أين الهدايا مذ برحت مرابع الرغد
أم جئت مثلي بالحنين وسورة الكمد)

ويخاطبه مؤكداً أن العدو والاحتلال مهما طال أمده فإنّه زائل لا محالة، وستبقى تلك الديار ببهائها وجمالها نبضاً لا يتوقف،

ونجوى لكل عاشقٍ لأرض فلسطين، يتابع الخطب قائلاً :

(ماذا رحيلك أيها المتشرد الباكي
عن أرض غابات الخيال وفوحها الزاكي
أم إن مرج الزهر أصبح قفر أشواك
وتلوّنت أنهارها بنجيع سفاك
داري وفي عيني والشفتين نجواك
لا كنت نسل عروبتي إن كنت أنساك)

كان للأدب دور مهم في إثارة الجماهير العربية والتي أصيبت بالخذلان من هول النكبة والنكسة، وخاصة الشعر حيث ظهر ما يعرف بشعر الثورة والأدب المقاوم لدى الأدباء والفنانين الفلسطينيين مثل :إبراهيم طوقان، عبد الرحيم محمود، توفيق زياد، سميح القاسم، محمود درويش، عز الدين المناصرة، غسان كنفاني، ناجي العلي .... والعرب مثل عمر أبو ريشة، نزار قباني، سليمان العيسى،... وغيرهم ممن تبنّوا القضية ودافعوا عنها ونقلوا بصدق وشفافية ما يعانيه الشعب الفلسطيني سواء داخل الأراضي المحتلة أو في الشتات، مؤكدين أن درب الحرية والمجد لا يكون إلّا بالكفاح المسلّح ومقاومة المحتل الغاصب وهذا ما عبّر عنه الشاعر عمر أبو ريشة في قصيدته (في سبيل المجد) حيث يقول:

(في سبيل المجد والأوطان نحيا ونبيد
كلنا ذو همة شماء جبار عنيد
لا تطيق السادة الأحرار أطواق الحديد
إن عيش الذل والإرهاب تأباه العبيد
لا نهاب الزمن أن سقانا المحن
في سبيل الوطن كم قتيلٍ شهيد)

أما الشاعر خليل زقطان رغم عدم شهرته كغيره من شعراء النكبة، فقد حضّ على التمرد والثورة على المحتل الصهيوني الذي جعل من حياة الفلسطينيين مأساة طال أمدها...

(يا أخي أنت معي في كل درب
فاحمل الجرح وسر جنبا لجنب
قد مشيناها خطى دامية
أنبتت فوق الثرى أنضر عشب
نحن إن لم نحترق، كيف السنى
يملأ الدنيا ويهدي كل ركب.؟)

أما شاعر الطفولة والعروبة الكبير سليمان العيسى فقد كانت قضية فلسطين حاضرة وبقوة في شعره ومواقفه القومية، ومناصرة الشعب العربي الفلسطيني في ثورته وكفاحه المسلح، لاستعادة الحقوق وتحرير الأرض، والتي عبّر عنها من خلال نشيد (فلسطين داري) والتي كانت مقرّرة في الصف الأول الإبتدائي، وغرس قضية فلسطين في عقول وأفئدة ملايين الأطفال لتبقى حيّة نابضة في قلوبهم الفتيّة حيث يقول =:

(فلسطينُ داري ودربُ انتصاري
تظلُّ بلادي هوىً في فؤادي
ولحناً شجيّا على شفتيّا
وجوهٌ غريبة بأرضي السليبة
تبيعُ ثماري وتحتلُ داري)

كلّ الطرق اختصرها الشاعر نزار قباني في قصيدته (طريق واحد)، طريق البندقية والمقاومة والثورة على المحتل الصهيوني الغاصب، حيث الوطن المحاصر والهوية الضائعة والأحلام المسروقة :

(أصبح عندي الآن بندقية
إلى فلسطين خذوني معكم
إلى ربىً حزينة
كوجه المجدلية
إلى القباب الخضر
والحجارة النبيّة
عشرين عاماً وأنا أبحث عن أرضٍ وعن وهوية
أبحث عن بيتي الذي هناك
عن وطني المحاط بالأسلاك
أبحث عن طفولتي
وعن رفاق حارتي
عن كتبي
عن صوري
عن كل ركن دافئٍ
وكل مزهرية)

أما الشاعر المصري محمود طه فقد كتب لفلسطين الكثير من القصائد، التي تشحذ همم العرب لنصرة قضية فلسطين وشعبها، وقد تحوّلت تلك القصائد إلى أناشيد يتردد صداها على امتداد الوطن العربي:

(أخي جاوز الظالمون المدى.. فحقّ الجهادُ وحقّ الفدا
أنتركهُمْ يغصبونَ العُروبةَ.. مجد الأبوّةِ والسؤددا؟
أخي أيها العربيُ الأبيُ.. أرى اليوم موعدنا لا الغدا)

وفي قصيدته (تقدّموا) يطلق الشاعر سميح القاسم صرخته المدويّة في وجه العدو الغاشم الذي لا مفر له من الاستسلام والهزيمة أمام أبطال المقاومة :

(تقدموا
كل سماء فوقكم جهنم
وكل أرض تحتكم جهنم
تقدموا
يموت منا الطفل والشيخ
ولا يستسلم
وتسقط الأم على أبنائها القتلى
ولا تستسلم)

لقد حمل الشاعر محمود درويش، أيقونة فلسطين كما يُطلق عليه، قضية وطنه، قضية فلسطين إلى العالم، وقدّمها عبر مواقفه وأشعاره التي تؤكد الحق في مقاومة المحتل بكل السبل، وصولاً إلى تحرير الأرض والتي يقول في أشهر قصائده:

(على هذه الأرض ما يستحق الحياة
أيها المارون بين الكلمات العابرة
احملوا أسماءكم وانصرفوا
واسحبوا ساعاتكم من وقتنا وانصرفوا
وخذوا ما شئتم من زرقة البحر و رمل الذاكرة
وخذوا ما شئتم من صور كي تعرفوا
أنكم لن تعرفوا
كيف يبني حجر من أرضنا سقف السماء
أيها المارون بين الكلمات العابرة
كالغبار المر مروا أينما شئتم ولكن
لا تمروا بيننا كالحشرات الطائرة
فلنا في أرضنا ما نعمل
ولنا قمح نربيه ونسقيه ندى أجسادنا
ولنا ما ليس يرضيكم هنا..)

وبالرغم من كل ما أصاب القضيّة من هنات وخيبات وانكسارات ونكسات، بقيت راية الحق مرفوعة ومستمرة بصمود الرجال والنساء وتضحيات الشهداء، فاستمرت شعلة المقاومة ومقارعة المحتل بالبندقية والحجارة والمدية و(المقلاع) و.... فكانت انتفاضة الحجارة الأولى والثانية وكانت ملاحم الصمود والمواجهة في غزة التي قلبت موازين القوى من خلال عملية طوفان الأقصى التي شكلت نقلة نوعية في عمليات المقاومة الفلسطينية، وحشد الرأي العام العالمي لنصرة قضية فلسطين، ورغم حجم الدمار والمجازر، التي طالت مدن وقرى قطاع غزة، فإن الشعب الفلسطيني المقاوم ومعه شعوب ودول المقاومة ماضٍ في مسيرة الكفاح والنضال، حتى تُشرق شمس الحريّة على فلسطين، وترفرف رايات النصر في مدنها وقراها وروابيها، وإنّ نصر الله لقريب.

رحلة فنيّة في ذاكرة صانع الأجيال عبد المنان شما

نداء الدروبي

تستوقفنا أعمال الفنان عبد المنان شما كونه من الرعيل الثاني، وأحد تلامذة الكبير (صبحي شعيب)، حيث تناول المناظر الطبيعية من المدن والأرياف والمقاهي الشعبية ببساطتها ورؤاها في منتصف الستينيات والسبعينيات الفترة المُسمّاة الذهبية للفن السوري، إضافة إلى وجود قسم من الرعيل الأول الذين أنتجوا أفضل أعمالهم مثل التشكيلي (نصير شورى) إذ ظلّ حتى التسعينيات، كذلك الفنان (محمود حماد) إلى عام ١٩٨٨، وكان لدور النقابات ووزارة الثقافة أهمية كبيرة، إذ عمل مبادرة مع زملائه لإنشاء اتحاد الفنانين التشكيليين العرب حينما تمّ اللقاء بينهم وبين السيد الرئيس الخالد حافظ الأسد، وطلب منهم جمع الطاقات العربية. وبالفعل تواصل كلُّ فنان مع زملائه من الدول المجاورة وقدّموا معرضاً رائعاً.

قال الفنان عبد المنان: (نحن جميعاً في عملنا الفني نخدم الوطن والجمال).

وهكذا يعود فناننا بذاكرته إلى الوراء قليلاً ليروي لنا بداياته الأولى مع أستاذه (صبحي شعيب) وأنّه كان أصغر طالب عنده في الصف السادس ومعه مجموعة من طلاب صفوف المرحلة الإعدادية وبعض الثانوية، ولأن والده كان فقيراً لم يكن يستطيع شراء مواد الرسم له، وفي المقابل كان الفنانان (عبد الظاهر مراد ومروان شاهين) أحد طلاب صبحي شعيب يتابعون الفن معه، بينما كان التشكيلي شعيب يُنظّم لهم الرحلات الممتعة والمفيدة في عام ١٩٥٠، للتعرُّف إلى الفنانين ونتاجهم الإبداعي.. وكانوا يخرجون منذ الصباح المبكر، ويبدو حرص شعيب عليهم لدرجة كبيرة حينما يأخذ كلُّ طالب من منزل أهله ويعدهم بإيابه عند المساء.

كانت المسافة طويلة تستغرق ستَّ ساعات من مدينة حمص إلى دمشق، ثم ينزلون في منطقة المرجة ويسيرون على الأقدام ليصلوا إلى دار المعلمين، وهناك يُعرّفهم الكبير صبحي شعيب على كلِّ ركنٍ من أركان الدار، وكيف درس فيه، ومَنْ هم المعلمون المعروفون كأمثال الفنانين: (محمود حماد، رشاد قصيباتي، نصير شورى)، ويروي الفنان عبد المنان شما مدى اندهاشه من الرسومات الكبيرة التي شاهدوها على الجدران وغيرها، والموقّعة باسم (محمود حماد، نصير شورى، شريف أورفلي، وفنانين آخرين لم يسمع قط بأسمائهم).

حقاً إنها رحلة رائعة كانوا يستمتعون بها مع الفنان صبحي شعيب الذي اصطحبهم معه إلى سطح دار المعلمين ليشاهدوا من هناك روعة مدينة دمشق التي ترعرع فيها الفنان.

حتى انطبعت صورتها في ذاكرته، وعندما انتهوا من الجولة تناولوا غداءهم المتواضع من الحمص والزيت والزعتر في المرجة.

ويتابع عبد المنان شما عن مدى فرحته عندما يرى أهله منتظرين عودته بفارغ الصبر ومدى الفائدة التي جناها من أستاذه الكبير صبحي شعيب، وخاصةً عندما كان

يُنظّم لهم معرضاً في المدرسة ثم ينقله إلى المركز الثقافي العربي في حمص فيرى اللوحات كلُّ شرائح المجتمع من المثقفين والأدباء والكتّاب ويهتمُّون بها، ويرى أن هذا الأمر بمنزلة انفتاح على عالم جديد لم يكن يراه من قبل.

ومن ميزات أستاذه صبحي شعيب أنه كان يتابع طلابه منذ الصغر حتى تخرُّجهم في المدرسة ويحثّهم على متابعة التعليم الجامعي، وكان الفنان (عبد الظاهر مراد) يساعد الفنان(صبحي شعيب) في عمله.

وهكذا عندما حصل عبد المنان شما على البكالوريا تقدّم إلى المسابقة بتشجيع منهم حتى ذهب كلُّ فنان إلى دول أخرى لمتابعة الدراسات العليا كمصر وإيطاليا وفرنسا... إلخ.

أما بالنسبة للفنان عبد المنان شما فقد استدان والده نقوداً من زملائه ليشتري له بطاقة السفر ويؤمّن له مصروف المعيشة كي يدرس الفن في مصر. قال الفنان شما: (كنت شديد الفرحة بدراسة الرسم، إذ كنت أتمنى الدراسة ولو في ضيعة أم شرشوح، وهي إحدى الضواحي التي كان صبحي شعيب يأخذنا إليها كي نرسم المناظر الطبيعية).

وفي مرحلة الدراسة عام ١٩٦٢ أحبَّ عبد المنان فكرة التدريب الصيفي في السنة الدراسية الأولى، وعندما رجع إلى سورية عمل أول معرض فردي له في المركز الثقافي العربي في دمشق، حضره أهم الفنانين الروّاد أمثال: (ميشيل كرشه، رشاد قصيباتي، شريف أورفلي، نصير شورى، محمود حماد)، وكانت دهشتهم كبيرة أثناء رؤية أعماله، ثم عرض في جزيرة أرواد وفي طرطوس وحمص، وكان الفنان لؤي كيالي يرافقه دائماً.

قال الفنان: -(أنا فنان مواطن سوري من بيئة تحمل إرثاً حضارياً وأريد أن أستمرّ في عكس هذا الإرث بفنٍّ مقروءٍ لعامة الناس).

رسم الفنان بألوان تعكس سورية الساحرة، وانتماءه الشديد لكلِّ مشهد في وطنه من البحر حتى الجبل والبادية والمدينة والريف، وأحبَّ أن يكون فنُّه مقروءاً لأكبر عدد من شرائح المجتمع، كما اتسمت أعماله بالواقعية والبساطة والحداثة المختصرة للواقع.

قال الدكتور فؤاد دحدوح: (شما أحد القامات الفنية التي كان لها أثر كبير في الفن التشكيلي السوري).

إنّ واقعية الفنان عبد المنان شما مشوبة بروح التقاليد الشرقية والتراث الشعبي، وقد وجد طريقه بعيداً عن التيارات التشكيلية الغربية المنساق وراءها كثير من الفنانين العرب دون مراعاة ظروف مجتمعاتهم، كما جسّد واقع الحياة في دمشق وحمص بأسلوب جمع بين التقاليد الكلاسيكية والفلكلورية، ورصد أزقة المدينة والمقاهي والأسواق الشعبية والأرياف الجميلة والبورتريهات المتضمّنة البسطاء من الناس، مهتماً في كل ذلك باللون والسطوح.

قال الفنان سعد القاسم: (هو صاحب تجربة فنية ثابتة ورصينة، إذ ظلّ وفيّاً للمدرسة الواقعية منذ بداياته، رغم تتلمذه على يد الفنان الراحل صبحي شعيب الذي كان ينتهج التعبيرية).

تخرّج الفنان في أكاديمية سوريكوف للفنون التشكيلية بموسكو بدرجة امتياز شرف، وحصل على شهادة الماجستير في التصوير الجداري، وشهادة الدكتوراه في الفنون الجميلة من أكاديمية الفنون السوفيتية في موسكو، وكان أول مؤهل علمي عال في مجالات الفنون الجميلة يحصل عليها فنان باحث على الإطلاق، وحقّق الكثير من الإنجازات الرافدة للحياة التشكيلية السورية بأعمال متميزة من الناحية الجمالية، حتى أصبح الفن جزءاً من كيانه كإنسان يصبو للتعبير عمّا في دواخله النفسية ومخيلته، وكان من دعائم قوته التقنية تمكُّنه من الرسم، إضافة إلى تمتُّعه بموهبة الملاحظة والجوانب الجمالية الدقيقة المباشرة للطبيعة وموجوداتها، وميله لالتقاط المواقف والحركة الدائرة من حوله وحركة الأيدي والأجسام ونوع القماش والزخارف والأزياء، والإيقاعات وحركة الشخوص والخطوط المتنوعة والسحب وتوليفاتها المنسجمة والأشجار والتناغم بين الألوان الداكنة والفاتحة والظل والنور والدقة في الرسم والوضوح في المعالجة والألوان المتباينة والإضاءة الرحيبة والسماء ذات الألوان الرقيقة.

إنه حقاً فنان استحقَّ تكريم الجامعة له كإحدى القامات العلمية والفنية المرموقة في كلية الفنون الجميلة، واستحقَّ درع الإبداع والتميُّز نتيجة جهوده الفنية والتربوية في بناء الأجيال وخدمة الكلية وجامعة دمشق فلُقّب بصانع الأجيال.

ذاكرة

عبرة فلسطين

لا نريد أن ننكأ جرحاً، فهو بلا ضفاف، ولا أن نقلب كوارث وفواجع الأمة، فهي ماثلة أمام الجميع لكننا أردنا أمام مشهد الهول والدمار الذي مازال منذ سبعين عاماً ونيف يحل بفلسطين والأمة ويزداد على أرض فلسطين ولاسيما غزة.

أردنا أن نعيد الصرخة التي أطلقها الكاتب الفلسطيني موسى العلمي منذ ما يقارب السبعين عاماً أيضاً.. في كتابه المهم جداً الذي طبع ثلاث مرات خلال ثلاثة أشهر وحمل عنوان: «عبرة فلسطين».

من هذا الكتاب نقف عند صرخته العبرة، ودعوته العرب لأن يتحدوا ويتخذوا القرار..

يقول العلمي: (ولقد رأى العرب بأعينهم بعض نواحي الكارثة التي نزلت بإخوانهم في فلسطين، وسمعوا ببعضها، فهزهم ذلك هزة عنيفة، لكن مدى الكارثة يربي كثيراً على كل ما رأوا وسمعوا، وكل ما قدروا وحسبوا.

فقد رأوا مئات الألوف من إخوانهم يخرجون من بيوتهم وديارهم هائمين على وجوههم في البر والبحر وقد تركوا خلفهم كل عزيز.

ورأوهم ينزلون بينهم في منازل البؤس والحاجة: يقيمون بالعراء ويفترشون الغبراء ويتوسدون الحجر ويتقون بالشجر والله أعلم بما يأكلون ويقتاتون، وتغير عليهم من جراء تلك الأمراض ويصيب الموت منهم مئات في كل يوم.

وسمعوا بما وقع لهم خلال ذاك من فواجع ومآس: بين من طغى عليه الموج فأغرقه، ومن انتشل من اليم بين الموت والحياة، ومن ألقى بثقله في البحر لينجو بروحه، ومن أهلكه القيظ والظمأ في الطريق، والتي أدركها المخاض، فانتحت لتضع حملها في ناحية من الطريق، وربما هلكت هي والوليد والتي ألقت بطفلها الغض البريء على جانب الطريق حتى لا تهلك وإياه، ومضت وهي تتلفت إليه وتتحرق عليه، والتي ذهلت عن رضيعها، فحملت الوسادة والصغار الذين ضلوا عن آبائهم أو فقدوهم إلى الأبد، والذين لا يعرفون لأنفسهم ولا لأهاليهم اسماً، والذي لم يجد لصغاره غطاء في ليالي الشتاء وشدة الزمهرير، فأثرهم بثيابه ومات من البرد والذي ضاقت به الحياة فقتل صغاره الثلاثة وزوجه ثم قتل نفسه والذين جردهم العدو عند خروجهم من كل ما حملوا من مال وحلي، والذين صبحهم العدو على حين غفلة وهم في بيوتهم آمنون، فقتل ومثل وفظع وأفحش واعتدى على كل حرمة.

ثم سمعوا بما عمل العدو بعد ذلك، من سلب ونهب، فيما خلف الناجون وراءهم من لباس ومتاع وآنية وبضاعة وزرع وضرع وثمر، حتى أتى عليها كلها ولم يبق منها شيئاً.

وأنه سكن بعدهم في مساكنهم وأقام في بيوتهم واحتل مدنهم وقراهم.

وسمعوا كذلك بما محي من قرى كانت عامرة وما نسف من أحياء كانت آهلة.

أما الحقيقة الكاملة فهي أشد هولاً من كل ما يستطيع أن يصف الواصفون

استنهاض الهمم

ويدعو العلمي العرب إلى النهضة قبل فوات الأوان..

اليوم حري بالعرب أن يكون قد كشفوا الواقع بعد هذا الذي رأوا وسمعوا من كارثة فلسطين ومن رأى العبرة فليعتبر.

ويخلص إلى القول:

لا تدفع القوة إلا بالقوة ولا نكون أقوياء حتى نكون عصبة، وحتى نسلك السبيل الوحيد الذي سلكته الأمم التي صارت قوية.

نحن أقوى..

ويضيف العلمي حينها قائلاً: نحن أقوى من اليهود ما في ذلك ريب، وإنما ذهبت فلسطين رخيصة من بين أيدينا لم ندافع عنها دفاع الرجال.

وإذا كان في العرب حيوية وقابلية ورجال أولو نضج وحكمة وعزيمة، فليس أمامهم سوى العمل السريع من دون تردد وقبل فوات الوقت.

فإن لم يفعلوا وظلوا غارقين في الأماني والأحلام، فتلك علامة سيئة قد تشير إلى أنهم وصلوا إلى درجة من الخمود والانحلال لا تؤهلهم لأن يسيروا مع الزمان.

لقد هزتنا الكارثة هزة عنيفة وأحدثت فينا جرحاً عميقاً، وفتحت علينا باب خطر شديد ولئن أيقظتنا الهزة وجمعتنا ودفعتنا إلى حياة جديدة نأخذ فيها بأسباب النهوض والقوة، فإن الجرح يلتئم والخطر ينكشف، وفلسطين تعود وقد تحمد المصائب.. وإلا فيا لهول المصير.

الخطر اليهودي

وقد نشأ الآن في بلاد العرب عامل جديد خطير يجب أن يحسب حسابه فقد وضع اليهود قدمهم فيها وصارت لم فيها قاعدة وشوكة واليهود شديدو الطمع في العرب وبلادهم وما فيها من ثروات وكنوز ولهم برنامج استعمار واسع لا يقتصر على فلسطين وحدها بل يتعداها إلى أقسام أخرى واسعة من الوطن العربي وإلى أهداف أخرى بعيدة المدى.

وجه بن غوريون رئيس اليهود رسالة إلى قومه أثناء اجتماع هيئة الأمم المتحدة الأخير في باريس قال فيها:

(إن الانتصارات العسكرية الأخيرة هي إحدى المقدمات لأهداف إسرائيل البعيدة فعلى الشعب أن يكتل قواه للوصول إلى تلك الأهداف. وأن ما ستقرره هيئة الأمم المتحدة في الأيام القادمة هو قليل مما ينتظره الشعب اليهودي مدة آلاف السنين. استعدوا للوصول إلى الهدف النهائي في بناء الدولة اليهودية وجلب يهود العالم أجمع وتحقيق البنود الواردة في التوراة. واصبروا لأنكم ستواجهون الصعوبات الكثيرة في الوصول إلى تلك الأهداف).

في هذه الرسالة إشارات صريحة إلى البرنامج اليهودي. وهو برنامج قديم وضع من عهد (هرتسل) مؤسس الصهيونية الحديثة يقوم على استعمار فلسطين وإعادة الملك اليهودي القديم كما كان في عصره الذهبي. ثم اتخاذها قاعدة لاستغلال الشرق وبسط النفوذ اليهودي الاقتصادي عليه. وهم اليوم ينفذونه مرحلة فمرحلة. وفلسطين في تعريفهم تشمل فلسطين الحالية وشرق الأردن وأقساماً واسعة في جوانبها من سورية ولبنان ومصر ويذهب بهم الخيال إلى(دولة يهودية كبرى بين النيل والفرات). ولا يستبعدن أحد على اليهود أن يكون لهم هذا المطمع الواسع والهدف البعيد. فالأمر ثابت يعرفه جميع الذين درسوا تاريخ الحركة الصهيونية وقرؤوا كتبها.

وقد رأينا كيف كان اليهود قبل الحرب العالمية الأولى يأتون إلى فلسطين لينجوا من اضطهاد أوروبا وهم لا ينشدون غير (المأوى) ثم رأيناهم يتدرجون إلى الوطن القومي ثم إذا هم يجهرون بالدولة اليهودية، وها نحن اليوم نسمع كبيرهم يشير علناً إلى (الأهداف البعيدة) ويقول(إن هذه إلا إحدى المقدمات) ثم يتحدث عن جلب يهود العالم أجمع وأين المساحات التي تتسع ليهود العالم أجمع؟؟؟؟ إنها غير موجودة في فلسطين لكن في جوار فلسطين مساحات واسعة في البلاد العربية فإليها ترنو أبصار اليهود.

لن يكتفي اليهود بإقامة دولة لهم في قسم من فلسطين وإنما هم يعتبرونها موطىء قدم وقاعدة للعمليات التالية وستكون الخطوة القادمة محاولة استكمال فلسطين والتهام بقيتها ثم يسيرون بحسب ما تتيح لهم الفرص والظروف بل هم سيحاولون خلق الفرص والظروف بل هم سيحاولون خلق الفرص والظروف لتنفيذ الأقسام الباقية من برنامجهم مرحلة بعد مرحلة.

والاستعمار اليهودي ليس كالذي رأيناه من استعمار الإنكليز والفرنسيين. ذلك كان شيئا عابرا لا يتناول الأساس والكيان. أما هذا فهو استعمار قومي لا يكتفون فيه بمجرد السيطرة السياسية والاقتصادية والقواعد العسكرية وإنما هم يبغون الاستيطان واستصفاء البلاد كلها لأنفسهم لنكون وطناً لهم دون أهلها امتلاكاً وسكناً وسيطرة يخوجون أهلها منها ويحلون فيها محلهم كما رأيناهم يفعلون في فلسطين.

واليهود قوم يمتازون بالخبث والدهاء وبالغنى والنشاط وتسخير كل قوة وسلوك كل سبيل للوصول إلى أغراضهم وهم مجهزون بوسائل العلم الحديث في مختلف نواحي النشاط ولهم قدرة على التنظيم، وتعتبر اليهودية

العالمية إحدى القوى العالمية الكبرى بما لها من سيطرة في عالم المال والاقتصاد ومن نفوذ متغلغل في السياسة الدولية وقد اختبرنا بأنفسنا مدى هذه القوة وهذا النفوذ.

ثم هم إلى ذلك قساة غلاظ الرقاب والأكباد قضوا الأجيال في اضطهاد دائم حتى امتلأت قلوبهم ضغينة وحقداً وحتى صار هذا الحقد المتراكم الكبوت يسعى إلى منفذ ينطلق منه ليشفي ما في الصدور من غل وليشبع ما في النفوس من رغبة في الانتقام.

وقد تعلموا أساليب مضطهديهم وزادوا عليها مما ترخي لهم وتمدهم تعاليمهم الخاصة حتى أصبحوا بين هذا وذاك لا يستشعرون في تحقيق أغراضهم شفقة ولا رحمة، وقد رأينا نماذج مجسمة من ذلك في أبشع الصور في فلسطين.

هذا هو عدونا وهذا هو العامل الجديد الذي نشأ بين أظهرنا وفي قلب بلادنا لا شك أنه عامل خطير جداً وخطر جداً.

وإن نشوءه ووجوده يحتم علينا أن تكيف أنفسنا وطرائقنا في الحياة حتى نستطيع مواجهة الحالة الجديدة.

أما موسى العلمي فهو كاتب فلسطيني، وعاش متنقلاً بين لندن وعمّان، وكان يتردد في زيارات إلى الضفة الغربية حتى توفي في العام ١٩٨٤. وقد ورد في كتاب (من أعلام الفكر والأدب في فلسطين) لمؤلفه يعقوب العودات عن موسى العلمي: «الحكمة التي آمن بها موسى العلمي وبشر بها في ندواته ومجالسه واتخذها شعاراً قبل وقوع النكبتين المروعتين في فلسطين قوله: «إننا لن ننتصر على إسرائيل النصر النهائي حتى ننتصر على أنفسنا».

نقش سوري

عز الدين القسام

ولد محمد عز الدين القسام في بلدة جبلة عام ١٣٠٠هـ الموافق ١٨٨٣م، واشتهر باسم عز الدين، ولكن اسمه مركب فهو محمد عز الدين، ولذلك ترجم له الزركلي في أعلامه في حرف الميم باسم محمد عز الدين، وهكذا جاء اسمه في رسالة النقد والبيان، وقد جرت عادة الناس في مثل هذا التركيب أن يشهروا الاسم الثاني ويهملوا الاسم الأول.

تعلم أصول القراءة والكتابة وتلاوة القرآن وحفظه، ولم تكن قرى الساحل السوري ومدنه أوفر حظاً من جبلة، ولم تعد حلقات الدرس في الجامع الأموي بدمشق في المستوى الذي يستحق الرحيل إليه، فلم يبق إلا الجامع الأزهر في القاهرة، فارتحل إليه عز الدين القسام عندما بلغ الرابعة عشرة من عمره، سنة ١٣١٤هـ الموافق ١٨٩٦م.

الجامع الأزهر سنة ١٩٠٦م، وهي السنة التي تخرج فيها عز الدين القسام منه كانت الدراسة قبل هذا التاريخ تسيرعلى طريقة الحلقات، دون نظام للقبول والامتحانات والشهادات، ودون التمييز بين مختلف المراحل الدراسية، ودون تحديد للمناهج، وبهذا نستطيع أن نقرر أن عز الدين القسام نال شهادة الأزهر العالية دون أن يمر بالمراحل الدراسية: الابتدائية فالثانوية، بل اعتمدت دراسته على الجهد الحرفي الدراسة، وكان الانتقال من منزلة إلى أخرى بمقدار ما يستوعب من العلوم التي تؤهله للارتقاء إلى مصافّ العلماء، وكانت العلوم الشرعية (الفقه والتفسير والحديث والأصول) والمواد اللغوية (النحو والبلاغة) هي مدارالدراسة الأزهرية، وقد روى عز الدين التنوخي زميل عز الدين القسام أن المال نفد منهما وهما في مصر يدرسان في الأزهر، فاقترح القسامُ أن يعدّ التنوخي الحلوى (الهريسة أو النمورة) وأن يقوما ببيعها، ليوفرا من ربحها حاجاتهما، ويستغنيا عن سؤال ذوي اليسار من رفاقهما، فاستفظع التنوخي الأمر وقال: «ولكني أخجل ولا أستطيع المناداة»، فأجابه القسام: «أنا أصيح على بضاعتنا»، وبهذه الوسيلة تمكن الاثنان من مواصلة الدراسة.

العودة إلى جبلة

تخرّج عز الدين القسام من الأزهر سنة ١٩٠٦م أو سنة ١٩٠٩م، وعاد إلى أهله بعد أن أمضى عشر سنوات في جوار الأزهر، نال في نهايتها الإجازة العلمية الدالة على تضلعه في العلوم الإسلامية، ويظهر من نهجه الحياتي المستقبلي أنه لم يكن جمّاعةً حافظاً فقط، وإنما كان فقيهاً في كل ما جمع من العلوم والمعارف، وجعل عز الدين يُدرّس في جامع إبراهيم بن أدهم التفسير والحديث، وكان يدعو المصلين إلى محاربة الفقر والبؤس بالعمل الدؤوب واستنباط خيرات الأرض، ويدعو الناس إلى التعاون والمحبة والإيثار.

محاربة الغزو الإيطالي لليبيا

كانت الدول الأوروبية الاستعمارية تتسابق لبسط سيطرتها على مشرق العرب ومغربهم منذ أواخر القرن التاسع عشر، وكان بينها صراع، ثم تم الاتفاق على القسمة، حيث عُقدت اتفاقية بين إيطاليا وفرنسا تنص على أن تتخلى الأخيرة عن مطامعها في طرابلس الغرب (ليبيا)، وتطلق إيطاليا يد فرنسا في مراكش، وضمنت إيطاليا موافقة بريطانيا وروسيا على ذلك. وفي سنة ١٩١١م قررت إيطاليا الاستيلاء على طرابلس الغرب، فحاصر أسطولها مدينة طرابلس في ١٩١١/٩/٣٠م. وعندما وصل خبر الحصار إلى مسامع أهل بلاد الشام، ثارت موجة عارمة من الغضب، كان للقسام دور بارز فيها، إذ أخذ يؤثر في جمهور الساحل السوري بغيرته وحماسته وقدرته الخطابية، ويُثير دمَ الأخوّة ويفجر العواطف الكامنة، وقد خرج القسام إلى الشوارع يقود الجماهير في جبلة واللاذقية ومدن الساحل وقراه، وعندما تمكن الجند الإيطالي من احتلال ليبيا انتقل القسام من قيادة التظاهرات الشعبية إلى قيادة حملات تجنيد الشباب باسم الجهاد، للدفاع عن شرف المسلمين ومنع نزول المذلة بهم، تمكن عز الدين القسام من تجنيد مئات الشباب من الساحل السوري، وقادهم بنفسه، وتعهدهم بالتدريب العسكري والفكري، وقام أيضاً بحملة لجمع الأموال والمؤن الكافية للنفقة على المتطوعين وأسرهم ولمساعدة المجاهدين في ليبيا..

محاربة الاحتلال الفرنسي

احتل الأسطول الفرنسي اللاذقية والساحل السوري في ١٩١٨/١٠/١٠م، فكان عز الدين القسام أول من رفع راية مقاومة فرنسا في تلك المنطقة، وأول من حمل السلاح في وجهها، وكان من نتاج دعاياته أن اندلعت نيران الثورة في منطقة صهيون، فكان في طليعة المجاهدين، وقد قاد عز الدين القسام مَن أطاعه من بني قومه ومن أهل بلدته إلى جهاد الفرنسيين، فقد نقل عنه ابن أخيه عبد المالك القسام أنه كان يقول: «ليس المهم أن ننتصر، المهم قبل كلّ شيء أن نعطي من أنفسنا الدرس للأمة والأجيال القادمة»، أي أنه كان يريد أن يضرب للناس مثلاً في الجهاد والقتال ويرفع من معنوياتهم، وهناك رواية تقول: إنه قبل سقوط الساحل السوري بيد القوات الفرنسية في تشرين الأول سنة ١٩١٨م، باع عزالدين القسام بيته ليشتري بثمنه سلاحاً، وتقول الرواية أيضاً: إنه باع بيته في جبلة وانتقل إلى الحفة مع زوجته وأولاده، أما بيع البيت فهو ثابت سواء أكان قبل الغزو الفرنسي أم بعده، ولكنّ الانتقال إلى الحفة مرحلة سبقتها مراحل.

لماعجز الفرنسيون عن استمالته وثنيه عن الجهاد، حَكَمَ عليه الديوان العُرفي فيما بالموت غيابياً، وصدر منشور يضم اسم عز الدين القسام وعدداً من المجاهدين، ومن أشهر المواقع التي خاضها القسام وجماعته «معركة بانيا» حين تمكن القسام مع ثلة من المجاهدين من القيام بغارة ليلاً على الثكنة الفرنسية، وقتل حاميتها في آذار ١٩٢٠م، ورداً على ذلك قاد الجنرال الفرنسي نيجر حملة على فلاحي القرى الساحلية، وقاموا بمذبحة في قرية بساتين الريحان بمنطقة الحفة، حيث جمعوا أهالي القرية في بيدر القرية وأمطروهم بوابل من الرصاص فقُتل مئة وسبعون شخصاً، وبعد هذه الحملات الوحشية اجتمع ما يسمى بالديوان العرفي في دولة العلويين، وأصدر حكماً غيابياً بإعدام عز الدين القسام، وحمّله مسؤولية تعريض الفلاحين الآمنين لما سيلحقهم من الأذى بسبب إيوائهم القسام ورفاقه، ووضع الفرنسيون مكافأة قدرها عشرة آلاف ليرة لمن يدل على مكان القسام أو يمسك به ويقدّمه للسلطات الفرنسية.اتبعت فرنسا أسلوب الأرض المحروقة والبيوت المهدومة لإرهاب سكان الريف والمدن، ولإجبارهم على التوقف عن مد الثوار بالجنود والطعام، فضعفت الثورة ثم توقفت، لأن المجاهدين لم يجدوا الإمدادات التي كانوا يطمحون إليها من القيادة السياسية في دمشق، فانتقل عزالدين القسام إلى دمشق للدفاع عنها من الاحتلال الفرنسي، ثم غادرها بعد استيلاء الفرنسيين عليها سنة ١٩٢٠م، فأقام في حيفا.

في حيفا

غادر القسام ورفاقه جبال صهيون، واتجهوا نحو جسر الشغور، ثم انتقلوا إلى بيروت، ثم كانت رحلة فردية للقسام إلى دمشق، ثم عاد إلى بيروت، وانتقلت الجماعة إلى صيدا على الشاطئ اللبناني بواسطة عربة يقودها حصان، ومن صيدا أقلّهم قارب إلى عكا، فأقام فيها أياماً أو شهوراً، كانت استراحة المسافر، أو للتشاور في أي الأماكن أنسب للإقامة الدائمة، فوازن بين عكا وحيفا، ودرس التركيبة السكانية لكلتا البلدتين، فمال إلى المجتمع الحيفاوي، لأن حيفا كانت سوقاً رائجة للعمل والعمال والتجارة، يفد إليها طلاب العمل والتجارة من الأقاليم العربية كافة، وخاصة الإقليم السوري، لأن فلسطين كانت جزءاً من سورية. وكان وصول القسام إلى فلسطين سنة ١٩٢٠م فيما بين شهرآب سنة ١٩٢٠م وأواخر السنة نفسها.

بعد أشهر من قدوم عز الدين القسام إلى حيفا عمل مدرساً في مدرسة الإناث الإسلامية أولاً، وفي مدرسة البرج الإسلامية ثانياً، وذلك في أوائل عام ١٩٢١م أو سنة ١٩٢٢م، وهاتان المدرستان تشرف عليهما الجمعية الإسلامية في حيفا، وكان متوسط أجره يتراوح ما بين أربعة وخمسة جنيهات. وكان القسام يُتبع هذه الوظيفة بإعطاء العمال دروساً في القراءة والكتابة، وذكر بعضهم أن القسام أسس مدرسة لتعليم الكبار القراءة والكتابة، وكان يبث من خلال دروسه الروحَ الجهادية في الطلاب. واستمر القسام بالتدريس في مدرسة البرج الإسلامية حتى عام ١٩٢٥م.

مرحلة النضال

كان بدء المرحلة الجادة في التسلح والتدريب في أواخر عام ١٩٢٨م، عندما خطا اليهود خطوة جريئة حيث تجاوزوا المباح لهم عند حائط البراق، وتداعوا من كلّ أنحاء فلسطين، وتدفقوا إلى الزيارة آلافاً مؤلفة بين مظاهرالحماس والزهوّ، فأثارهذا المسلمين، وتداعوا إلى حراسة المسجد الأقصى والدفاع عنه، مما دفع جماعة القسام إلى الانتقال من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الإعداد العسكري المسلح، ويذكر أبو إبراهيم الكبير أنه في عام ١٩٢٨م إثر ازدياد التهديد اليهودي: «طلبنا من الشيخ أن ينتقل من مرحلة الكلام إلى العمل، وطلبنا أن نتسلح ونتدرب، فاشترينا بندقية، وأحضرنا مدرباً كان اسمه محمد أبو العيون، وكانت تبدأ الجلسة بأن يُلقي الشيخ دروسَه، ثم تحولت دروس الشيخ من دروس دينية إلى تحريض على الجهاد، وكان المدرب يقوم آخر الجلسة بتدريب الموجودين على البندقية واحداً واحداً».

استجاب الشيخ راشد الخزاعي أمير حاكمية جبل عجلون لنداء القسام، وأمدّه بالحماية والمال والسلاح

ثم جاءت ثورة البراق عام ١٩٢٩م لتعجّل بالتحضيرالعسكري، والانتقال من المرحلة السرية إلى المرحلة العلنية، فأخذ القسام يتولى تدريب المجاهدين بنفسه، وكان يخرج ليلاً يُدرب الأعضاء على الأسلحة، ويوجههم إلى أساليب الكفاح المسلح. ويصف حسن شبلاق (عضو الهيئة المسؤولة عن الحجّارة في أراضي الكبابير بجبل الكرمل وأحد الذين تدربوا على يد القسام) الخطواتِ كالتالي: «كنا نجتمع قبل الخروج إلى جبل الكرمل في واحد من الجوامع الثلاثة: الاستقلال والجامع الكبير (الجرينة) والجامع الصغير، وكان الخروج عادةً على مستوى الحظيرة، ثلاثة أشخاص يعرف بعضهم بعضاً، والحُجة القانونية التي كنا نتسلح بها.

قال إبراهيم الشيخ، وهو أحد مجاهدي العُصبة القسامية، معلّلاً خروج القسام إلى الجهاد العلني: «في أوائل عام ١٩٣٥م رأى القائد القسام أن المستعمِر يراقب تحركاتِ القساميين مراقبة دقيقة، وكان القائد يخشى أن يَعتقل الإنجليز النخبة الصالحة من إخوانه، فيُفسدَ جميع مخططات العصبة قبل أن تظهر، وكان يرى الخروجَ إلى الجبال والطوافَ بالقرى وحثَّ المواطنين على شراء السلاح والاستعداد للجهاد. وقد أكّد هذا الرأيَ عددٌ من أتباع القسام».ومن أسباب خروج القسام إلى الجهاد أيضاً: ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين، واتساع مساحة الأراضي التي استولوا عليها، فقد دخل فلسطين سنة ١٩٣٥م ٦٢٠٠٠ يهودي، وامتلك اليهود في العام نفسه ٧٣٠٠٠ دونم من الأراضي العربية، حتى كتب المندوب السامي البريطاني قبل نهاية سنة ١٩٣٥م إلى وزارة المستعمرات يقول: «إن خُمس القرويين قد أصبحوا بالفعل من دون أراضٍ يمتلكونها، كما أن عدد العمال العاطلين في المدن آخذٌ في الازدياد».وبعد أن حزم القسام أمره وعزم على الخروج، بدأ يتصل بأتباعه وإخوانه ويتحدث معهم في قراره إعلان الجهاد، قال عربي البدوي: «قبل الخروج، كنا لمدة أسبوع نتباحث، ونجتمع في بيوت متفرقة، وأخيراً قررنا الخروج. وكان الأمر القيادي الأول: ليتوجه كلٌ إلى أهله، يستودعهم الله، ويعاهدهم على اللقاء في الجنة إن شاء الله». وفي آخر خطبة له في جامع الاستقلال، فسّر للمصلين الآية الكريمة:

أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ١٣ (التوبة:١٣). يقول يوسف الشايب الذي استمع إلى الخطاب: إن آخر كلمات قالها القسام في خطبته: «أيها الناس، لقد علّمتكم أمور دينكم حتى صار كل واحد منكم عالماً بها، وعلّمتكم أمور وطنكم حتى وجب عليكم الجهاد، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، فإلى الجهاد أيها المسلمون، إلى الجهاد أيها المسلمون».وبعد ساعة من إلقاء الخطبة، أخذت السلطة تفتش عنه للقبض عليه ومحاكمته، ولكنه كان قد ودّع أهله وإخوانه، وحمل بندقيته، وذهب وصحبه إلى الجبال. ويؤكد يوسف الشايب أن القسام خرج بعد هذه الخطبة، وأن سيارةً كانت تنتظره خارج المسجد، وأنه لم يشاهده أحد في حيفا بعد ركوبه السيارة.

ضفاف الرّحيل

سمر الديك

تبتعدُ ثمّ تغيبُ
كأنّكَ تنوي الرّحيل
وحبّكَ مزروعٌ في صدري
أسقيه جمرَ دموعي
ويتدثر بالأنين
وأنا أتقلّبُ في مخابئ الشّوق
وجمرِ الوَلَه وصقيع الحنين
والنوى عاثَ بروحي
وماعدّتُ أرغبُ إلاّ بالقليل
تضيعُ مني قافيتي
ومن بين اليقظةِ والحلم
يشدّني حبُكَ المستحيل
ياحبّاً ذبلَتْ ورودُه على الأغصان
احتويتكَ داخل قلبي
بمجرى الشّريان
وسهامي ماعادتْ تصطادُ إلاّ النسيان
قدّم لي عذركَ
ثمّ ارحلْ كما تشاء
ارحلْ إنْ عزّ عليكَ اللقاء
فحبّكَ علّمني
كيفَ يكونُ الهذيان
كيفَ يكونُ الغليان
عند سكون الأكوان
وكيفَ
(أتسكع في الطرقات كالسكران)
كيف ينطقُ الصمتُ
وتتغيرُ خارطةُ الأكوان
فليسَ لي في حبّكَ إلاّ كفّ عزاء
امضِ بصلفكَ
لكنْ ارحمْ قلبي الولهان
فكيفَ لكَ أنْ تكسرَ قلباً أتعبتَهُ ومضيتَ في
طريقكَ كما الهواء
فمنْ أنتَ
حتّى تجعلَني هكذا ثُلّة أشلاء
مَنْ أنتَ حتى تخبرني بموتِ حبّي
وهو يرقدُ بينَ الأحشاء
بعدَ أنْ رأيتُ فيكَ
كلّ الأمانِ والرّجاء
قدّمْ لي أعذارَكَ ثمّ
ارحلْ كما تشاء
فكيفَ تفكرُ بالرحيل
وتتركُ قلبي مكسورًا حزين
فأنتَ لي كلّ شيئ
بلْ كلّ الأشياء

موعدٌ مع الشَّمس

نرجس عمران

استَقلُّوا قطار الرّحيل
وترجّلُوا في مَحطة الشّهادة
يُوقنون أنّها حَافلةُ المصير
طَريقها أجْسَادَهم
و وقودُها دماءَهم
وأصرُّوا أن يكونوا الرُّكاب
لم يتعثروا باستراحةِ خُنُوع
وكم اعترَضتهم
مطاباتُ الخيّانة؟!
ومستنقعاتُ الخيّبة
وأذى الخُذلان
لكنّهم أماطوها دون وَجَل
بأجساد يَسترُ عُريَها الإيمان
وأكفّ يلتّهمُ دفءُ الصّبر
صَقيعَها
وأقدام ما تشبثتْ بأحذيتها
لولا نِعالُ الإرادة
أخفقَ الخوفُ في اختراق نبضهم
وكم فشل الانهزام من الدُّنو منهم ؟!
ومحاولات الرّدع
الجبّارَة
لوَهن عَزيمة المضيّ قُدمًا
نحو النّصر
باءتْ بالفَشل
أيُعقل أن تُحيلَهم بَغتَةُ الحَدث ؟!!
وشَرّاهة الموت
وقَسَاوة القدر
إلى مفردات في معجم التّراجع
محالٌ أن يُلحّن أزيزُ الرّصاص
صوتَ هُروبهم
موعدهمُ مع الشّمس قائمٌ
فارتدوا النّور
حروفُ أشلائهم
اختصرتْ قصائدَ الرُجولة
وعلى عتبات النّصر
رسموا حُدودَ الوَطن
ذَخيْرتَهم دعاءُ الأمّهات
وأمّا دمعُ الزّوجات
جعلوه مُعَقمًا
إذا أُصيبَ الصّبر بجرح
و وجوهُ أطفالهم
هي رغيفُ الخُبزَ
الذي طالما أمدّهم بالطّاقة
لحظةَ تدورُ رحى
أمعائهم الخَاوية
هذا قليلٌ
من هَولِ ماتسَلحوا به
من حَقّ
تباسمَوا به
وسَاروا عليه
ومَضوا إليه
حتى تلاقوا معه
وفي كَنف الحقّ
عزّ وجلّ
في كلّ لحظة
ومن كلّ الأمْصَار
يَنعمونَ بالانتصَار
ونحنُ نحتفلُ بموتهم
في أيّار
ما أبْأَسَنا يا الله ؟!!

غُربة مُثلّثة

عبد الكريم الناعم

لروح الصديق الشاعر ممدوح السكاف

الكلْمةُ أضيَقُ منْ أُفْقْ
في هذا الشّرقْ
كيفَ أُوَسّعُها في زمنٍ
ماأدري
هلْ يَختزنُ المُضمَرُ فيه شيئا
من أحوالِ البرْقْ ؟!!
منْ أينَ أجيئُك يابْنَ زمانٍ
كُنّا فيهْ....
نُوغلُ.. نوغلُ..
كي لانُصبحَ سُلّمَةً في ذاك التّيهْ
من أينَ أجيئُكَ
ياطفلَ ثمانين الأيامْ ؟!!
كنتَ نقيّاً، ونظيفاً في زمنٍ
مَشبوبٍ بالسُخَامْ
واسعةٌ صفحاتُ الذّكرى
كيفَ يَضيقُ الماءُ بذاك المَجرى ؟!!
ظَلّتْ حمصُ غوايتَكَ المَشغولةَ
من حلْمِ الشّعراء المَفتونينَ
بأنَ الحلْمَ الأبعدَ..
أقْرَبُ من (ميماس ١) التّوْقْ
أوَتذكُرُ يومَ عزمْتَ على أنْ
تَخرُجَ منها
أوْ تخرُجَ منكَ
لعشْرِ أياماً غِبْتَ
وَعُدْتَ
فيا للْغربة ماأصبرَها !!
ساريّةً للكلْمة كنتَ
وللآتينَ لَهافى الشعرْ
طَلقتَ الغربةَ لكنّ الغربةَ جاءتْكَ
من الجهة الأخرى
حينَ «دواعشُ» عصر الفتنة هبّوا
من نَتَن الأفكار الصّفْرْ
غادرتَ البيتَ لتنجو
ولتنْجو الأسرةُ من ذَبْح
كانَ علامةَ هذا العصرْ
أخذوا البيتَ وما في البيت
الكُتُبَ، الأقلامَ،
وأرْصِدةً
لكتابات تَتَنَظّرُ طَلْعتَها،
وَبعيداً كنتَ وأنتَ قريبٌ
يتآكّلكَ الوحشُ المُرْ
الغربةُ ثانيةً،
تَتَمشّى عبرَ شوارع حمصٍ
ماتَتَشَوّفُ إلاّ قِشْرَتَها
ماهذا السرّ الغامضُ بين اللّبّ
وبينَ القشْرْ !!
وَنَزَحْتَ بعيداً
طَعْمُ الغربةِ طعْمُ الجَمْرْ
أعْرفُهُ،
كمْ عانيتَ،
وليسَ جميعُ البُعْدِ جفاءً،
غُرْبَةُ طيرْ
فوقَ مُحيطات
لاالصّحْبُ على وَعْدٍ
لابَرْ
مَنْ يسطيعُ تَحمُّلَ هذا القَدْرْ ؟!!
وقَضَيْتَ غريباً في «عمّانَ»،
الغربةُ ثالثةٌ في القبْرْ
ياطفلَ ثمانينَ اكْتَمَلَ الشّوطُ،
سلاماً
مَمَنْ يعرفُ كيفَ يحنُ الماءُ
لمجرى النّهرْ